

المعطيات الاقتصادية في تاريخ خليفة بن خياط ت: ٢٤٠هـ

عصر الرسالة والخلافة الراشدة أنموذجاً

د . محمد يونس فلاح

جامعة الموصل / كلية العلوم الإسلامية / قسم الشريعة

(قدم للنشر في ٢٠١٩/٤/٢ ، قبل للنشر في ٢٠١٩/٥/٢١)

ملخص البحث: يعد العالم خليفة بن خياط من العلماء المشهورين بعلم الحديث والتاريخ والانساب ، فقد ولد في البصرة ومنها اخذ علومه وثقافته، ونشأ تحت ظلال بيئة علمية شملت جده وابيه فقد نال عنهم علم الحديث . اما صورة حياته العلمية فلم تقدم لنا المصادر صورة واضحة المعالم عن حياته ، وما ذكر عنه لا يعد حديثاً ، عن اسمه ، ونسبه ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ومصنفاته ، ووفاته . فابن خياط من العلماء المعروفين بالبصرة فقد تلقى علومه من شيوخها واخذ عنه تلاميذه من مختلف البلاد فكانوا يشدون الرحال اليه لنيل العلم منه ، ومصنفاته ، وكان لثناء العلماء عليه اثرًا بالغاً في شهرته ، اما كتابه في التاريخ فهو من اهم الكتب التي تتحدث عن حوادث تاريخية قد لا نجد لها عند غيره من المؤرخين ، اذ يقدم اسما شغلوا مناصب في ادارة الاقاليم ، وتولوا وظائف دينية ومدنية ، ومنها النظم الاقتصادية بكافة فروعها المالية ، وعلى الرغم انه لا يفرد لها عناوين خاصة بها ، الا ان هذا الجانب يعد من الجوانب المهمة في كتابة هذا البحث ، فقد تم تقسيم تلك الجوانب الى عناوين وضع من خلالها تلك الاشارات التي ذكرها المؤلف في مصنفه خاصة النصوص المتعلقة بالنظم الاقتصادية والتي تمثل مدار حديثنا عنها من خلال هذا البحث .

Economic Giving's in the History of Khalifa bin Khayat (Died in 240A.H) Message and Rashidete Caliph as a Case of Study

Abstract: Khalifa bin Khayat is a renowned scientist in history, prophet sayings and generations. He was born, raised and educated in Basrah in the academic environment of his father and grandfather. They taught him Prophet sayings. His academic profile is a mystery. references told nothing about his life. The available information regarding his name, family tree, teachers, students, books and his death are not new. Ibn Khayat is a famous scientist of Basrah. He studied and taught in it and his students were international. They travelled to learn from him and study his books . His praise by other scientists had a great deal in his reputation. His boo in history is a source of some historic events that can't be found elsewhere. The book mentions enlists the names of governors of the regions, the religion and administrative officials, specially economical with all its financial branches. Despite the absence of clear titles, it is through an important aspect of this research. These aspects were divided into titles through which the researcher put these signs mentioned by Ibn Khayat I his book socially the economical side, the focus point of this research.

المقدمة

والسياسية. الا انه تم جمع كل النصوص المتعلقة بالبحث،
فالمعطيات الاقتصادية تمثلت بمفردات تم عليها تكوين هذه
الدراسة.

فقد تضمن البحث خمسة مباحث فتناول المبحث الاول
تقديم نبذة عن حياته متمثلة باسمه ونسبه وحياته العلمية وتراجم
لبعض شيوخه وتلاميذه ووفاته ، اما المبحث الثاني فقد خص
عن نشأة بيت المال وبداية تكوينه ، والمبحث الثالث اشتمل على
موارد بيت المال مما يجبي عنهم وهي الزكاة والجزية والخراج والغنائم
والفبيء، والمبحث الرابع اخذ الجوانب المتعلقة بالوسائل المالية وهي
التقود وبقريها الدينار والدرهم ، والمبحث الخامس احتوى على
الدعامة الاساسية في تصريف السلع والبضائع الا وهي الاسواق.

المبحث الاول

نبذة عن حياة خليفة بن خياط

١ . اسمه ونسبه : خليفة بن خياط بن ابي هبيرة اللثبي^(١)
البصري^(٢) العصفري^(٣) ويكنى ابو عمرو^(٤) ويلقب بشباب ولم

^(١) محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري ، التاريخ الكبير ، دائرة المعارف
العلمية ، (حيدر آباد : د . ت) ، ٣ / ١٩٣ ؛ مسلم بن الحجاج ابو
الحسن النيسابوري ، الكنى والأسماء ، تحقيق : عبد الرحيم محمد ،

يعد كتاب تاريخ خليفة بن خياط مصدراً من مصادر
دراسة التاريخ الاسلامي ، اذ يسرد احداث عن ٢٣٢ سنة من
التاريخ ، ابتداءً فيها بذكر احداث ولادة النبي محمد صلى الله عليه
وسلم وبعثته ، فهو المؤرخ والحداث والنسابة . وكتابه يعد من اوثق
الكتب التي تناولت حوادث لقراءة أكثر من قرنين ، فيقدم لنا دراسة
عن النظام المالي والاداري والعسكري والسياسي ، وان كان الغالب
على مضمونه عسكرياً وسياسياً ، الا ان ذلك لا يمنع ان يكون في
ثنايا النصوص ما يشير الى النظم الإدارية او الاقتصادية . فقد
اشتمل كتابه على تنوع الاخبار واخذ يقدم اخبار كل سنة على
حدا ذاكرا ما جرى فيها من احداث وثورات وتمردات ومن
ادركتهم المنية من الرجال والعلماء لتلك السنة ، واثناء حديثه عن
خليفة من الخلفاء يذكر من تولى من الامراء لتلك الفترة على الاقاليم
،ومن عهد اليه في ادارة الدواوين مثل الحجابة والشرطة وبيوت
المال وغيرها .

اما في مجال بحثنا فقد اعتمد في انجازه على الاخبار الواردة
في ايام السيرة النبوية والخلافة الراشدة من خلال اجراء الجرد
الكامل لكافة النصوص المتعلقة بالنظم الاقتصادية التي وردت فيها
وان كانت قليلة ومتناثرة في ثنايا المواضيع والنصوص التاريخية

اشتهرت بالعلم وخدمته فقد كان والده من العلماء المشهورين
برواية الحديث ، وجده أبو هبيرة من علماء أهل الحديث
فأخذا عنهما العلم^(٦) .

ويبدو ان ابن خياط لم يتحل فلم يثبت له رحلة
في طلب العلم بل اقتصرته حياته العلمية على نهل العلوم من
مدينة البصرة ، فالبصرة آنذاك لا تقل أهمية عن بقية المدن ،
فقد كانت تمثل مركز اشعاع حضاريا وعلميا في شتى اصناف
العلوم ، لذا الخطيب البغدادي لم يذكر له ترجمة في كتابه تاريخ
بغداد ، فهذه أشاره إلى أن الخياط لم يدخل بغداد رغم قصر
المسافة بين المدينتين ، فيبدو أن البصرة وبغداد كانتا في نظره
متناظرتين في العلوم .

^(٦) البغدادي ، تجريد الأسماء والكنى ، ١ / ١٩٢ ؛ محمد بن احمد بن عثمان
الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير / تحقيق : بشار عواد ، دار
الغرب الإسلامي ، ط ١ ، (بيروت : ٢٠٠٣) ، ٥ / ٨١٧ ، الذهبي :
سير أعلام النبلاء ، مجموعة محققين ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، (بيروت
: ١٩٨٥) ، ١١ / ٤٧٢ ؛ صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي ، الوافي
بالوفيات ، تحقيق : احمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ، دار أحياء التراث
، (بيروت : ٢٠٠٠) ، ١٣ / ٢٣٧ .

يُعلم سبب تلقيه بهذا اللقب وهو لقب اطلقه عليه شيخ
بخارى^(٥) .

^{٥٢} حياته : ولد الإمام في مدينة البصرة سنة (١٦٠ هـ / ٧٧٧ م)

ونشأ في أسرة مشهورة ومعروفة بالعلم فهو سليل أسرة

عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، ط ١ ن ، (المدينة المنورة :
١٩٨٤) ، ١ / ٥٧٤ .

^(٦) البخاري ، التاريخ الكبير ، ٣ / ١٩٣ ؛ محمد بن حبان بن احمد البستي ،
الثقات ، دائرة المعارف العثمانية ، ط ١ ، (حيدرآباد : ١٩٧٣) ، ٨ /
٢٣٣ .

^(٧) العصفري: نسبة الى عصفور والتي نسب اليها فخذ من قبائل العرب . ينظر
: عبيد الله بن علي بن محمد البغدادي ، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم
، مركز النعمان للبحوث ، ط ١ ، (عدن : ٢٠١١) ١ / ١٩٢ . كما عرف
بانه المادة التي يصبغ بها الثياب حمراء فهي مادة تجارية تباع وتشتري .
ينظر : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء
الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت : ١٩٠٠) ، ٢ ،
٢٤٣ / .

^(٨) البخاري ، التاريخ الكبير ، ٣ / ١٩٣ ؛ البستي ، الثقات : ٨ / ٢٣٣ .

^(٩) النيسابوري ، الكنى والاسماء ، ١ / ٥٧٤ ؛ عبد الرحمن بن محمد بن
أدريس أبي أبي حاتم ، المرح والتعديل ، طبعه مجلس دائرة المعارف
العثمانية ، ط ١ ، (حيدرآباد الدكن : ١٩٥٢) ، ٣ / ٣٧٨ .

د . محمد يونس فلح: المعطيات الاقتصادية في ...

ب. زياد بن عبد الله البكائي : زياد بن عبد الله بن الطفيل يكنى
أبو محمد البكائي^(١١) عالماً صدوق مشهور بالحديث^(١٢) سمع
من شيوخ مشهورين بالحديث منهم منصور بن المعمر وإسماعيل
بن أبي خالد ، كما قدم بغداد وقرأ الحديث فيها ، توفي سنة
(١٨٢ هـ / ٧٩٨ م)^(١٣) .

٣. شيوخه : الملاحظ ان البيئة العلمية لها تأثير كبير على النشأة
العلمية للعلماء فلها دور كبير في خلق فئة علمية ناضجة في
جميع فنون العلم لذا فقد شهدت البصرة اهتماماً كبيراً لعلمائها
وكان من ضمنها خليفة بن خياط . فقد اهتم ابن خياط بالعلم
وطلبه بل تلقي عناية ودعم من ابيه وكان له الأثر في ذلك ،
الا انه لم يقتصر على أبيه في تلقي العلم بل كان لمشاهير علماء
عصره ومدينته نصيباً ، وذاك ما كان يقوي نبوغه واهتمامه ،
فأخذ علم الحديث من علماء عصره واقتدى بهم ، ومن ابرز
شيوخه في علم الحديث هم .

أ. يزيد بن زريع : هو الإمام يزيد بن زريع البصري ، يكنى أبو
معاوية البصري العيشي ، وكان عالماً ثقة بعلم الحديث^(٧) فهو
محدث أهل البصرة^(٨) ، بل كان من أفضل علماء أهل البصرة

٣٣٠ : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٧ / ٣٠٧ .

^(٩) ابن كثير ، التكميل في الجرح ، ٢ / ٢٣٠ .

^(١٠) ابن سعد الطبقات الكبرى ، ١ / ١٨٨ ؛ ابن كثير ، التكميل ، ٢ /

٣٣٠ .

^(١١) ابن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار دار الفكر
للطباعة ، (بيروت : ١٩٩٣) ، ص ٢٩٢ ؛ أحمد بن ثابت الخطيب
البغدادي ، تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، دار
الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت : ١٤١٧) ، ٨ / ٤٧٧ .

^(١٢) الذهبي ، من تكلم فيه وهو موثوق او صالح الحديث ، تحقيق : عبد الله

بن ضيف ، ط ١ ، (د . م : ٢٠٠٥) ، ط ٨ .

^(١٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٤٧٧ .

^(٧) محمد بن سعد بن منيع ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد
القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت : ١٩٩٠) ، ٧ /
٢١٢ ؛ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب
العلمية ، ط ١ ، (بيروت : ١٩٩٨) ، ١ / ١٨٨ .

^(٨) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة
الثقات والضعفاء والمجاهيل ، تحقيق : شادي بن محمد بن سالم ، مركز
النعمان للبحوث والدراسات ، ط ١ ، (عدن : ٢٠١١) ، ٢ / ٣٢٩ -

٤. مصنفاته : لم يقتصر بن الخياط على علم وفن واحد بل كتب في التاريخ والطبقات وأجزاء من القرآن كما اشتهر عنه بعلمه بالنسب وأيام الناس .

أ. تاريخ خليفة بن خياط ^(١٨) .

ب. طبقات القراء ^(١٩) .

ت. تاريخ الزماني والعرجان والمرض والعميان ^(٢٠) .

ت. سفيان بن عيينة : وهو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، يكنى بأبي محمد الكوفي ، ولد سنة (١٠٧ هـ / ٦٣٨ م) ^(١٤) رحل إلى مكة واستقر فيها ، اشتهر بعلم الحديث فكان أماماً فيه ثبت ، زاهد ورعاً ، قيل أنه حج ما يقارب سبعين مرة ^(١٥) ، وسمع من شيوخ مشهورين منهم قاسم الرحال والزهري وزباد بن علاقة وأبي إسحاق وغيرهم ^(١٦) ، وقال الإمام الشافعي في الثناء على سفيان لولا ابن عيينة لذهب علم الحجاز ، فتوفي هذا العالم سنة (١٩٨ هـ / ٨١٤ م) ^(١٧) .

^(١٨) ابن أبيك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٣ / ٢٣٨ ؛ الحسين بن محمد الغساني ، القاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين ، تحقيق : محمد زينهم ، دار الفضيلة ، (القاهرة : د . د . ت) ، ١ / ٦٥ ؛ محمد بن إسماعيل بن خلفون ، المعلم بشيوخ البخاري ومسلم ، تحقيق : أبو عبد الرحمن عادل ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت : د . د . ت) ، ١٢ / ١٧١ .

^(١٩) محمد بن عبد الغني بن نقطة ، إكمال الإكمال تكملة لكتاب الإكمال لابن مأكولا ، تحقيق : عبد القيوم عبد ريب ، جامعة أم القرى ، ط ١ ، (مكة المكرمة : ١٤١٠) ، ٢ / ٤٦٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٢٤٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥ / ٨١٧ ؛ الغساني ، القاب الصحابة ، ١ / ٦٥ ؛ ابن خلفون ، المعلم بشيوخ ، ١ / ١٧١ .

^(٢٠) محمد بن إسحاق بن محمد بن النديم ، الفهرست ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، (بيروت : ١٩٩٧) ، ١ / ٢٨٨ .

^(١٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٦ / ٤١ ؛ ابن أبي حاتم ، (الجرح والتعديل ، ٤ / ٢٥٥ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ٤٠٣ .

^(١٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٣٩١ .

^(١٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد ، دار الغرب الاسلامي ، ط ١ ، (بيروت : ٢٠٠٢) ، ١٠ / ٢٤٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٣٩١ . ابن أبيك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٥ / ١٧٥ .

^(١٧) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت : ١٤٠٣ هـ) ، ١ / ١١٩ ؛ الفنوجي ، التاج المكلل ، ١ / ٣٨ .

د . محمد يونس فلح: المعطيات الاقتصادية في ...

ث. أجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته (٢١) .
حكماً سلبياً عليه فهو أيضاً يذكر ثورات لا نجد لها عند غيره
لاسيما في عهد الخلافة العباسية .

٥ . تلاميذه : لقد نال ابن خياط شهرة عظيمة بأقباله إلى العلم
فجعل حياته من منح تعليم وتعلم ونال تلك المكانة والرفعة لأقباله
على التعلم من شيوخ وعلماء أجلاء فكانت تلك الشهرة أثراً
لأقبال الطلبة عليه ولاسيما أنه قد درس على يده تلاميذ ،
كانوا علماء فيما بعد . ونظراً لكثرتهم فستقتصر على ذكر
اشهرهم :

أ . محمد البخاري : وهو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم
البخاري ، يكنى أبو عبد الله ، ولد سنة (١٩٤هـ / ٨١٠ م
(ارتحل في طلب العلم حيث علماء الحديث فارتحل إلى
العراق ، وخراسان والشام والحجاز وغيرها (٢٢) وسمع من
علماء مشهورين منها المروزي ، والبلخي وأبا عاصم الشيباني
وابن خياط وغيرهم (٢٣) ، له مصنفات كثيرة منها صحيح

أما بخصوص كتابه التاريخ لأبن خياط الذي هو مطلبنا في
هذا البحث فسأقدم عرضاً وافياً له من خلال الاطلاع عليه .
فالكتاب من الكتب التي تتبع منهج الحوليات في تدوين النصوص ،
فهو يبدأ تدوينه من تاريخ ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه
وسلم ، آخذاً كل سنة على حدة ابتداء من السنة الأولى للسيرة
النبوية حيث يبدأ بسرد الأحداث التاريخية لكل سنة وما تشمله من
غزوات وأزمات ومغازي مستدركا بعد نهاية كل سنة ذكر من
أدركتهم الوفاة فيها ، وفيما يتعلق بعهد الخلفاء بعد عهد الرسالة
فكان يقدم نبذة من عهد كل خليفة وما فيها من غزوات وحملات
كل على عهده إلى جانب توزيع العمال على الأقاليم والأمصار
وتعيينهم في وظائف ومهام يكلف بها سواء القضاء أو ادارة بيت
مال المسلمين أو الجباية أو الإمامة و الخطابة والحجابه وحتى في
بعض الأحيان يقدم صورة عن كيفية توزيع الغنائم على المسلمين أثناء
انتصاراتهم ، وتارة لا يفصل في ذلك ، لذا فهو عندما يقدم رواية ما
فيقدم تفصيلاً واضحاً عنها وأحياناً يتأب الرواية غموض لا يوجد
فيها أحداث متكاملة سواء في الغزوات وبعض الثورات وهذا لا يعني

(٢٢) ابن حبان ، الثقات ، ٩ / ١١٣ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد وذيوله
، ٥ / ٢ .

(٢٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد وذيوله ، ٥ / ٢ ؛ حمد بن محمد أبو

الحسين ، طبقات الحنابلة ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكوفة ،)

بيروت : د . م . ، ١ / ٢٧١ .

(٢٤) ابن النديم ، الفهرست ، ١ / ٢٨٣ .

منهم^(٢٨) أبو مصعب الزهري وأبن المنذر الحزامي ، وابن الخياط ، وسلمة بن شبيب ، وغيرهم فقد بلغ من ألقى بهم من العلماء ما يقارب المائتي عالم، وكان ذلك دافعاً قوياً لنشر علم الحديث في الأندلس^(٢٩) ومن مصنفاته المسند الكبير ، والتفسير الجليل وغيرها ، توفي ابن مخلد سنة (٢٧٦ هـ / ٨٩٠ م)^(٣٠) .

٦ . **وفاته :** عاش ابن الخياط حياة جليها في نيل العلم والتعليم ، وكان لمصنفاته الباهرة نصيب ، الاوفر من سيرته . لتبقى ذكرة مؤلفاته زاهرة عبر الدهور وينتفع بها الناس على مر العصور .

البخاري ، وفي التاريخ ، التاريخ الكبير وغيرها توفي سنة (٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)^(٢٤) .

ب . **أبو يعلي الموصلي :** وهو الإمام الحافظ مُعلي بن مهدي بن رستم الموصلي^(٢٥) روى عن ابن ميمون ، وابن خياط وشريك ابن عبد الله ، وروى عنه بن حمدون وادريس بن سليم وغيرهم^(٢٦) توفي في شهر شعبان سنة (٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م) بعد أن أصيب بحمى لمدة أربعين سنة^(٢٧) .

ت . **ابن مخلد :** شيخ الإسلام الإمام القدوة بقي بن مخلد بن يزيد يكنى أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي ، ولد سنة (٢٠١ هـ / ٨١٧ م) أرتحل من أجل طلب العلم إلى بلدان المشرق العربي الإسلامي والتقى بعلماء فسمع من أئمة علم الحديث

^(٢٨) عبد الرحمن بن احمد بن يونس المصري ، تاريخ ابن يونس المصري ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ١٤٢١) ، ٢ / ٤٦ ؛ عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة : ١٩٨٨) ، ١ / ١٠٧ .

^(٢٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء ، ١ / ١٠٧ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٣ / ٢٨٥ ؛ ابن ابيك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٠ / ١١٥ .

^(٣٠) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٢ / ١٥١ ؛ الذهبي سير أعلام ، ١٣ / ٢٨٥ .

^(٢٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد وذيله ، ٢ / ٥ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٢ / ١٠٤ .

^(٢٥) ابن حبان ، الثقات ، ٩ / ١٨٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥ / ٩٤٣ .

^(٢٦) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥ / ٩٤٣ .

^(٢٧) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥ / ٩٤٣ ، مقبل بن هادي بن مقبل الوادعي ، رجال الحاكم في المستدرک ، مكتبة صنعاء الأثرية ، ط٢ ، (صنعاء : ٢٠٠٤) ن ٢ / ٣٢٨ .

د . محمد يونس فلح: المعطيات الاقتصادية في ...

لأن تاريخ ولادته مع وفاته لا يتناسب من حيث عمره بالثمانينيات ،
أما الرأي الآخر فالقائلون بذلك ليس لديهم دليل يشير على سنة
وفاته .

المبحث الثاني

بيت مال المسلمين ونشأته

يعد بيت مال المسلمين حديثاً بمثابة وزارة المالية في عصرنا ،
حيث تجتمع فيه واردات الدولة المالية ، من أجل صرفها على
مرافق الدولة بمختلف ميادينها ، ولم يختص بيت المال على فئة من
الناس ولا لفرد من الأفراد بل شمل عامة المجتمع ، ويرجع الفضل في
ايجاد وظيفة هذا البيت وبصورة رسمية الى عهد الخليفة عمر بن
الخطاب (١٣-٢٣هـ) رضي الله عنه ^(٣٤) . أما سبب نشأة الديوان
فيعود الى أن أبو هريرة جاء من البحرين ومعه من الجباية المال الكثير
فسأله الخليفة عن واردات الجباية فأجابته أن المبلغ قد بلغ خمسمائة
الف درهم ، فأندهش سيدنا عمر وصعد المنبر وخطب بالناس
وحمد الله على ذلك ^(٣٥) .

فالمؤرخين اختلفوا في تاريخ وفاته فقيل أنه توفي في سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤م) وكان عمره ثمانين عاماً ^(٣١) وقيل سنة (٢٣٠ هـ / ٨٤٥م) ^(٣٢) وقيل سنة (٢٤٦ هـ / ٨٦٠م) ^(٣٣) ومن خلال هذه التواريخ يمكن أن نستدل على اشارات توضح الرواية الصحيحة في معرفة وفاته، فالتاريخ الاول هو اقرب إلى الصحة وذلك لأن من قال ذلك هم أقرب إليه من الناحية التاريخية لوفاتهم ولاسيما إذا قيل أنه توفي وهو في الثمانينيات من عمره ، أما القول الثاني فهو بعيد

^(٣١) سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ، سؤالات ابي عبيد الأجرى ابا داود السجستاني في الجرح والتعديل ، تحقيق : محمد علي قاسم ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ط١ ، (المدينة المنورة : ١٩٨٣) ، ص ٢٩٧ ؛ ابن يعلي ، تجريد الأسماء والكنى ، ١ / ١٩٢ ؛ ابن خلفون ، المعلم بشيوخ ، ص ١٧١ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٢٤٤ .

^(٣٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢ / ٢٤٤ ؛ ابو الطيب محمد الصديق خان القنوجي ، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط١ ، (قطر : ٢٠٠٧) ، ص ٣٢ .

^(٣٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٢٤٤ ؛ مغطاي بن قليح بن عبد الله الحنفي ، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : ابو عبد الرحمن عادل وابو محمد أسامة ، الفاروق الحديثة للطباعة ، ط١ (د . م : ٢٠٠١) ، ٤ / ٢١٥ ، ابن ابيك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٣ / ٢٣٨ ؛ القنوجي ، التاج المكلل ، ص ٣٢ .

^(٣٤) شرف الدين الكروي ، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة الانكلو المصرية ، د . ط ، (القاهرة : ١٩٨٤) ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

^(٣٥) ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ، تجارب الامم وتغاقب الهمم ، تحقيق : ابو القاسم إمامي ، سروش للنشر ، ط٢ ، (طهران : ٢٠٠٠) .

يكون مجلسه بدار العدل مع حضور المحتسب ، وهذه المكانة رفعة ومنزلة وقد ركل منهما على حدا^(٣٨) .

ولا يحق لصاحب بيت المال أن يتصرف في املاك بيت المال الا من خلال ما تتطلبه المصلحة العامة للمسلمين فهناك أصول وثوابت لتثبت الاموال الواردة لبيت المال منها الغنائم والفبيء والاعشار، والاحماس ، والزكاة ، والخراج ، والجزية ولكل منها باب خاص به تثبت وارداته^(٣٩) كما لصاحب بيت المال علامة على الكتب والصكوك النافذة من بيت المال إذ أنها معرضة للتدقيق والمراقبة^(٤٠) .

فقد أورد خليفة بن خياط في كتابه التاريخ سبع روايات عن بيت مال المسلمين^(٤١) ومنها عندما عين الخليفة عمر بن الخطاب

^(٣٨) المصدر نفسه ، ٤ / ٣٧ ، ٣٨ .

^(٣٩) احمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري ، ، نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب والوثائق القومية ، ط١ ، (القاهرة : ١٤٢٣) ، ٨ / ٢١٤ .

^(٤٠) قدامة بن جعفر بن قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، دار الرشيد للنشر ، ط١ ، (بغداد : ١٩٨١) ، ص ٣٦ .

^(٤١) للمزيد . ينظر : ابو عمرو خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، دار القلم ، ط٢ ، (دمشق : ١٣٩٧) ، ص ١٢٣ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ، ٢٥٨ ، ٣٦١ ، ٤٤٢ .

فبيت المال هو المؤسسة المالية التي على اساسها يشيد العمران في دولة الاسلام فهو خزينة مال المسلمين التي يشرف عليها الامام ، كما من خلالها يتم تجهيز متطلبات المجاهدين في سبيل الله على مر الايام والسنين، واليه تعود الموارد المالية عن كافة وجوه الجباية ومن خلاله يتم بيع الاراضي والابنية المعمورة^(٣٦) .

فبعد الحديث عن نشأة بيت المال، فلا بد أن يكون لهذه الوظيفة متصرف أو مشرف أو وكيل يتولى ادارتها فهي وظيفة رفيعة وعظيمة وموضوعها يتطلب من يتولاها له ذمة فهو مسؤول أمام الله تعالى ، لأن القائم عليها يتولى ادارة مبيعات البيت ومشترياته ، أي من عقد بيع وشراء سواء كانت أراضي أو آدر^(٣٧) .

أما شروط الوكيل القائم على هذه الوظيفة، فقد تضمنت أن لا يتولى بيت المال الا من كان له فضل علم، وورع في الدين، وان

(، ١ / ٤١١ .

^(٣٦) ابو العباس بن علي الفلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، شرحه : محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية د . ط ، (بيروت : د . ت) ، ١٢ / ١٨٤ .

^(٣٧) الفلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤ / ٣٧ .

د . محمد يونس فلاح: المعطيات الاقتصادية في ...

حتى وليّ عبد الله ابن أرقم^(٤٤) مهمة بيت مال المسلمين ، بعد ما علم مقدرته وكفاءته على إدارة الأمور المالية ، لكن الأرقم لم يدم طويلاً في هذا المنصب، إذ سرعان ما قدم طلب بإعفائه منه فأعفاه الخليفة من تولي بيت المال^(٤٥) رغم عدم ذكر السبب في طلبه لكن هذه اشارة الى ان تولية هذا المنصب يتطلب مسؤولية كبيرة ومقدرة على تحمل كل ما يرد عليه من مهام وموارد مالية تتطلب احصاءها وكيفية تكيفها وفق متطلبات حاجات الدولة .

ولأهمية بيت المال ولاسيما أثناء حدوث الفتن والمشاكل فكان يساوم عليه مع بقية النظم ، فلما كان عثمان بن حنيف الانصاري والياً على البصرة ، قدم إليه طلحة و الزبير واتفقوا فيما بينهم على ان يوقفوا القتال ضمن شروط منها أن يكون دار الإمارة

^(٤٤) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث. كان يجيب عنه الملوك، وكان يكتب الوحي ويكتب إلى الملوك أيضاً فلم حتى قبض النبي، وخلافة أبي بكر وجعل أبو بكر رضي الله عنه إلى عبد الله بن الأرقم بيت المال. فلم يزل كذلك حتى قبض أبو بكر، وولي عمر رضي الله عنه حتى قتل. ثم إن عثمان عزل عبد الله بن الأرقم عن الكتابة وبيت المال، وجعلها إلى زيد بن ثابت. ينظر: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر، روحية النحاس، دار الفكر، ط١، (دمشق: ١٩٨٤)، ٢/٣٨٣.

^(٤٥) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٧٩ .

رضي الله عنه الولاية على الامصار فقد ولي ابا عبيدة بن الجراح على بيت مال المسلمين . وكذلك لما عرض أهل مدينة الكوفة شكوى الى الخليفة عمر بن الخطاب ، فأصدر الخليفة على اثرها أمراً بعزل الوالي وكان ممن شمله التغيير صاحب بيت المال قتم استبداله بأبن مسعود^(٤٦) فأصبح وكيلاً على بيت مال المسلمين .^(٤٣) ومن هذا يتبين ان المؤسسة المالية تُعد من المؤسسات المهمة القائمة على نظام الاسلام المالي والاقتصادي ، فتولي هذا المنصب والقيام بواجباته بصورة صحيحة يعطي صورة حسنة وصفحة بيضاء عن متوليها أما المقصر في هذه المهمة فقد يعرض نفسه الى العزل إن لم يؤدي مهامه بصورة صحيحة .

أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه(٢٣-٣٥ هـ) فلم يخفى على الخليفة المنهج الاداري المالي وخاصة فيما يتعلق ببيت مال المسلمين فما أن انتهى من توزيع أمور مهام الولاية على المدن

^(٤٦) عبد الله بن مسعود . وهو بن غافل بن حبيب بن شميخ بن فار بن مخزوم ويكنى أبا عبد الرحمن أسلم قبل دخول النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى دار الأرقم . ينظر: ابو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت : ١٩٩٠)، ٣/١١١، ١١٢.

^(٤٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٢٣ ، ١٤٩ .

تطهير صاحبها من الذنوب،^(٤٨) وكذلك فهي من الموارد المالية المهمة ،فهي تعد جزء من واردات الدولة العربية الإسلامية . فقال تعالى ﴿ وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾^(٤٩) .

فللزكاة أصناف عديدة ومنها ، زكاة الركا، وزكاة المعدن ، وزكاة النقد ، وزكاة النبات وزكاة الفطر . .^(٥٠) وينبغي اثناء أخراج الزكاة التثبت من شروط مهمة وهي النصاب والحول^(٥١) أما اوجه صرف الزكاة ، فتصرف في ثمانية فئات وهي الفقراء، والمساكين ،والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل^(٥٢) .

^(٤٨) النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت : ١٩٧٢) ، ٤٨ / ٧ .
^(٤٩) سورة المائدة ، الآية : ١٢ .
^(٥٠) زكريا بن محمد بن احمد الانصاري ، فتح الوهاب شرح منهج الطلاب ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٩٩٧) ، ص ١٧٩ ، ١٩٢ ، ١٩٦ .
^(٥١) النووي ، صحيح مسلم ، ٤٨ / ٧ .
^(٥٢) تقي الدين النبهاني ، النظام الاقتصادي في الإسلام ، ط ٦ ، دار الأمة ،

وبيت المال والمسجد لعثمان بن حنيف وطلحة والزيد الحريه في اختيار المكان الذي يراه مناسباً له في البصرة ، وذلك حقن لدماء المسلمين،^(٤٦) فاذا كانت الوظائف المالية سببا في درء المفسد وجلب المصلح، وتحقق فيها دماء المسلمين شريطة عدم المساس بمصالح المسلمين، فهنا يعد موضوع امر المساومة وسيلة للوصول الى حل النزاع بين الطرفين .

المبحث الثالث

موارد بيت المال

١ . الزكاة والصدقات :

تمثل الزكاة إحدى اركان الإسلام فهي تعد الركن الثاني بعد الصلاة^(٤٧) أما الغاية والهدف منها هو النماء والتطهير ، فالمراد منها

^(٤٦) سيف بن عمر الاسدي ، الفتنه وواقعة الجمل ، تحقيق : احمد بن راتب عرموش ، دار النفائس ، ط ٧ ، (عمان : ١٩٩٣) ، ص ١٣٣ ، ١٢٧ ؛ ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٨٣ ؛ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت : ١٩٩٢) ، ٢٨٩/٥ .

^(٤٧) ابو زكريا يحيى النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين ، المكتب الإسلامي ، (بيروت : ١٩٨٥) ، ١٤٩ / ٢ .

د . محمد يونس فليح: المعطيات الاقتصادية في ...

تَجْوَدُكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ .

فقد اشار ابن الخياط اشارة واحدة فيما يتعلق بنصوص الزكاة ، وهذه الاشارة لها أهمية كبيرة في الإسلام ومعالجتها أهم من ذلك ولاسيما بعد فترة وجيزة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتولي ابو بكر الصديق رضي الله عنه (١١-١٣ هـ) الخلافة من بعده ، ولأهمية موضوع دفع الزكاة ومحاربة من منع دفعها أو أدائها ، فقد أراد الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه محاربة العرب المرتدين الذين منعوا اداء الزكاة فقال الصحابة لأبي بكر الصديق أقبل منهم فقال لو منعوني عقلاً مما أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم ^(٥٧) . فكان لظاهرة الردة أثراً كبيراً على الخليفة ابو بكر الصديق فلم يتهاون في أمرها مع اصحابها بل حاربهم حتى أعادهم الى جادة الصواب ، إذ تقول السيدة عائشة رضي الله عنها " توفي رسول الله فلو نزل بالجلال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها ^(٥٨) "

وبعد هذا التقديم لابد من اعطاء تعريفا لهذا الركن . فالزكاة هي نسبة من المال مفروض على من يملك مقدار من المال بلغ نصابه . فتؤخذ من المالك وتعطى للذي لا يملك ^(٥٣) .

وعرفها الماوردي قائلاً " الزكاة ... فهي مال تؤخذ من المسلم ولا يجبى سواها ، وأموال الزكاة ضربان وهما الظاهرة وتمثل الزروع والثمار والمواشي أما الباطنة وهي الفضة والذهب وباقي العروض ^(٥٤) . وبخصوص النسبة المقدرة لقيمة الزكاة فتؤخذ بنسبة ٢,٥% من الأموال التي نص عليها حول كاملاً ^(٥٥) .

أما الصدقة ، فهي أخراج المال بصورة طوعية في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله على جميع أوجه الخير ولا يلزم صاحبها نصاب معينة وهي غير محدودة مجد أعلى وقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك ^(٥٦) . قال تعالى ﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيَّ

بيروت : ٢٠٠٤) ، ص ٢٣٩ .

^(٥٣) النبهاني ، النظام الاقتصادي ، ص ٢٣٩ .

^(٥٤) ابن الحسن علي بن محمد الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، (بيروت : ٢٠٠٦) ، ص ١٢٨ .

^(٥٥) النبهاني ، النظام الاقتصادي ، ص ٢٤٠ .

^(٥٦) النبهاني ، النظام الاقتصادي ، ص ٢٣٩ .

^(٥٧) سورة المجادلة، الآية : ١٢ .

^(٥٨) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٠١ .

^(٥٩) هاضها : هاض العظم إذ تعرض الكسر بعد جبره ، أي كاد أن يشفى

وينهض من كسره ، أي كاد أن ينجر ، فهو مهاض وقيل هاض الشيء ،

أي رده إلى مرضه . ينظر : محمد بن مكرم بن علي بن منظور ، لسان

العاشرة من الهجرة وهي السنة التي أعلن فيها أهل نجران إسلامهم ، أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى الحارث بن كعب بنجران فدخلوا الإسلام وجاءوا وقومه معه إلى النبي محمد ﷺ فأعلنوا إسلامهم ثم رجعوا إلى نجران ، ثم أرسل النبي من يتولوا أمورهم الدينية والدينية من أجل أفهامهم الدين وإعلامهم بأمور دينهم ويعلمهم السنة النبوية، إلى جانب توليه مهمة جمع الصدقات (٦٢) كما تولى معاذ بن جبل جمع الصدقات في عدن ، وإبا سفيان في نجران ، ثم يتولى الأمر بعد ذلك علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمعها في نجران وهناك أشاره تدل على أن هذه المهمة لها منصب مستقل مشرف على الصدقات فقد كان من ضمن عماله على الصدقات ، عبد الرحمن بن عوف على صدقات كلب وبطنون اسد وغطفان وعطارداً يتولاه عامر بن مالك (٦٣) .

٢ . الخراج :

وهو مال يتم تقديره من خلال اجتهاد الأئمة على رقاب الأرض ، والخراج يؤخذ ماله سواء الإنسان كان كافراً او مسلم .

أشرب النفاق بالمدينة وأردت العرب فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي إلى أعظمها في الإسلام" (٦٠) فموقف الخليفة جاء حازماً وسريعاً الى المرتدين حتى لا تصاب الدولة في كيانها أو ربما يؤدي الى ضعفها، لخروج هذه الفئة الضالة عن دفعها للزكاة ووقوفها بوجه الخليفة الذي يمثل أعلى سلطة دينية ودينية على المسلمين ، فهذا ما دفعه الى اعلان حرباً واسعة على معارضيها .

أما الصدقات ، فتمثل أحد المصادر المالية الرافدة لبيت المال حيث يتم تكليف شخص يتولى امر جمعها . والغاية منها هي دعوة وإرشاد المسلمين وتشجيعهم على رعاية شؤونهم الدينية من خلال دفع مال غير مقدر لصالح المسلمين .

فمن خلال التقسيمات الإدارية وأنفاذ الأحكام والإشراف على شؤون الدولة ورعاية شؤونهم الدينية والدينية فقد قسم النبي محمد ﷺ البلاد التي تحت حكمه إلى مناطق عديدة من أجل المباشرة على حكمها والاهتمام بإدارتها ، فقد جعل على كل مدينة والياً عليها، مهمته الإشراف عليها واناذ الحكم فيها والأشراف على مسؤوليتها وشؤونها (٦١) فيذكر ابن خياط ، أنه في السنة

بيروت : (١٣٨٧) ، ٣ / ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٦٢) تاريخ خليفة ، ص ٩٤ .

(٦٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

العرب ، دار صادر ، ط ٣ ، (بيروت : ١٤١٤) ، ٧ / ٢٤٩ .

(٦٠) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٠٢ .

(٦١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط ٢،

د . محمد يونس فلاح: المعطيات الاقتصادية في ...

وتم الصلح مع أهل بعلبك على بقاء وإنصاف منازلهم وكنائسهم الدينية ، ووضع عليهم الخراج^(٦٧) .

كما أشار أيضاً أثناء فتح مدينة سرق^(٦٨) إذ وجه إليها ابو موسى الأشعري وفتحها صلحاً مع مدينة رامهرمز^(٦٩) وتم الأتفاق على أمور وحاجات بلغت بمقدار ثمانمائة ألف درهم في كل سنة في حين بلغ مقدار خراج مدينة سرق نفس المبلغ^(٧٠) وهذا يدل على أن مساحة الأراضي الزراعية كان كبيراً جداً وهذا يضاف الى بيت المال . وكذلك مع إقليم فارس فيعد من الأقاليم المهمة بل تعد

^(٦٧) تاريخ خليفة، ص ٩٨ .

^(٦٨) سرق : احدى مدن الاحواز، حفر فيها نهرا من قبل حاكمها اردشير بهمن . ينظر: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ط٢، (بيروت: ١٩٩٥) ، ٣/٢١٤ ؛ محمد بن عبد الله الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، (بيروت: ١٩٨٠) ، ص٣١٥ .

^(٦٩) رامهرمز: وهي مدينة مشهورة تقع بناحية من نواحي خوزستان ، سميت بذلك نسبة الى احد حكام الاكاسرة الفرس وهو هرمز ، وتشتهر هذه الناحية بزراعة النخيل والجوز والحمضيات . ينظر : الحموي، معجم البلدان، ٣/١٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٦٦ .

^(٧٠) تاريخ خليفة ، ص١٢٩ ، ١٣٠ ؛ ابي الحسن احمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية ، ط١، (بيروت : ٢٠٠٠) ، ص٢٢٦ .

فقال تعالى ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾^(٦٤) ويختلف مقدار الخراج المأخوذ حسب نوعية الأرض وطريقة سقيها واستغلالها وكذلك حسب اختلاف الحبوب والثمار فمنها يكون غالي الثمن ومنها رخيص الثمن فيقدر الخراج حسب نوعه ، وكذلك طريقة سقيه بالأمطار أو الدواليب^(٦٥) .

أما كيفية الجباية فتجبي الأموال عن طريق عمال الخراج ، والقائم بهذه الوظيفة أن يتصف بصفات مهمة وهي الأنصاف ، والنزاهة ، والخبرة ، والحريّة ، والكفاية ، والأمانة ، وان يكون فقيهاً^(٦٦) فالعمال هم المسؤولون عن تقدير مساحة الأرض وما تدره من غلال وعلى ذلك يقدر الخراج .

فيذكر ابن الخياط إشارات تشير على وظيفة الخراج منها ما ذكره سنة (١٥ هـ / ٦٣٦ م) عندما فتح شرحبيل بن حسنة الأردن بالقوة ، وارسل أبو عبيدة ، قائده خالد بن الوليد إلى البقاع

^(٦٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٧٢

^(٦٥) محمد بن الحسين بن محمد ابن الفراء ، الأحكام السلطانية ، صححه : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، (بيروت : ٢٠٠٠) ، ص١٦٧ .

^(٦٦) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٠٦ ، ٢٣٤ .

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا
الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٧٣﴾ .

فالهدف من الجزية مال لا يؤخذ كره او بالقوة من دون
مقابل، ولكن يؤخذ لقاء مهمة تكون على عاتق الدولة تجاه أهلها
من غير المسلمين، فالتوازن في الاسلام مثالياً في هذا الأمر فالمسلمون
والذميون رعية في ذمة الحاكم، ولهم حقوق وعليهم واجبات ما
داموا في رعايته، فالمسلم يدفع الزكاة تطهيراً لماله والذمي يدفع الجزية
لقاء الحفاظ على حياته وماله .

كذلك الجوس تؤخذ أيضاً منهم جزية ويعاملون معاملة أهل
الذمة ، فالنبي محمد ﷺ أخذ منهم الجزية ولاسيما مجوس هجر
(٧٤) .

أما آية أخذ الجزية وعلى من تفرض فالشرع الإسلامي فقد
أوجد سياسة شرعية في الأشخاص المكلفين بدفعها، فتؤخذ من

مصدراً كبيراً للخراج وذلك لحجم الأراضي الزراعية التي فيها ، إلا
أن البلدة لم تكن مستقرة فكان يشوبها بعض الخلافات والمشاكل
الداخلية، مما يتطلب الأمر إلى ارسال حملة لإخضاعهم وعقد الصلح
معهم ، ففي سنة (٦٥٧/٥٣٧م) أرسل الخليفة علي بن أبي طالب
سهل بن حنيف الى بلاد فارس إلا أن أهل البلاد لم ينصاعوا له بل
أخرجوه منها مما أضطر الخليفة إلى ابداله بشخصية جديدة بالمهمة
وهو زياد ابن ابه فقبلوا الصلح وارتضوا فيما بينهم وصالحوه ودفعوا
الخراج عن أراضيهم (٧١) .

٣ . الجزية :

هي مقدار من المال يدفعه أهل الذمة وهي تمثل الجزاء ،
لأنها جزت عن قتله وكما أنها تؤخذ منهم مقابل أقاتهم وحماتهم
من قبل المسلمين والسلطة، كما تعد جزء من واردات الدولة العربية
الإسلامية (٧٢) . والجزية أقرها الإسلام بنص قرآنياً فقال الله تعالى ﴿

(٧١) تاريخ خليفة ، ص ١٩٢ .

(٧٢) سعيد بن ابي عروبة ، المناسك لأبي أبي عروبة ، (د . م : د . ت) ،
٤ / ١ ؛ حميد بن مخلد ابن زنجوية ، الأموال لأبن زنجوية ، (د . م : د
ت) ، ١ / ٩٧ ؛ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي
والديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجليل ، د . ط ، (بيروت : ٢٠٠١)
، ١ / ٣٨٣ .

(٧٣) سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .

(٧٤) مجوس هجر . فقال عنهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة
أهل الكتاب فأشاره إليهم أما بقية أصحاب الديانات الوضعية الأخرى فلا
يعاملون معاملة اهل الذمة . ينظر : ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي
، تفسير البيضاوي ، دار الفكر ، (بيروت : د . ت) ، ٣ / ٤٠ .

د . محمد يونس فلاح: المعطيات الاقتصادية في ...

وهو أكيدر بن عبد الملك من سكان أهل اليمن وكان حاكماً عليها فأصطحبه خالد بن الوليد الى الرسول محمد ﷺ إلا انه لم يدخل الإسلام ولكنه سلم على نفسه وحقن دمه مقابل دفع الجزية فسمح له رسول الله ﷺ بالعودة إلى دياره^(٧٨). فهذا السياسة من قبل الرسول تبين أن الإسلام لم يجبر أحد على الدخول بالإسلام بالإكراه ، فالحاكم كان ذمياً ولم يدخل الإيمان في قلبه فبقى على دينه لكن الإسلام وضع الجزية مقابل دخول المدينة صلحاً .

وكما في سنة (١٦ هـ/٦٣٧م) ارسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابو عبيدة بن الجراح إلى مدينة حلب ليفتحها لكن أهلها طلبوا الصلح ، وتم مخاطبة أهلها على ذلك بكتاب رسمي من اجل الصلح وتم ذلك ، وأرسل أبو عبيدة أيضا لفتح مدينة ايلياء ففرض عليها الحصار، فلما طال عليهم سأله أهلها الصلح شرط أن يكون الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو من يعقد الصلح بينهم ، وأرسل إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووافق على ذلك بعد مشاورة أصحابه فخرج حينها إلى ايلياء وأستقبله أهلها فصالحوه على دفع الجزية مقابل حمايتهم وعدم الاعتراض لهم

الرجال البالغين العقلاء ولا تؤخذ من النساء ولا الجنون ولا الصبيان^(٧٥). ولا الشيوخ ولا الرهبان ولا العميان ، كما تجبى مرة واحدة لكل سنة، اما مقدارها فقد قسمت كالأبي الطبقة الثرية العليا أربعة دنانير ،والفئة الصغرى دينارين، والدنيا دينار واحداً^(٧٦) لذا فتقدر الجزية على مستحقيها من أصحابها ويتم إرسالها الى بيت مال المسلمين .

فدفع الجزية كان له أثر في أستباب الأمن في ربوع الجزيرة العربية في عهد الرسول محمد ﷺ وربما حلت الكثير من المشاكل التي عاصرت المسلمين ، فمرويات ابن خياط تبين لنا أهمية الجزية وفرضها ، ففي السنة التاسعة من الهجرة ، أرسل الرسول الأعظم محمد ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه الى أكيدر دومة^(٧٧)

^(٧٥) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٦٢ .

^(٧٦) شمس الدين محمد بن ابي بكر الدمشقي ، احكام اهل الذمة ، تحقيق : يوسف احمد الكري ، وشاكر توفيق ، دار بن حزم ، (بيروت : ١٩٩٧) ، ١ / ١٦١ .

^(٧٧) أكيدر دومة : وهو رجل يدين بالنصرانية من كددة كان حاكماً عليها . ارسل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد اليه قاتلاً له ستجده يصيد البقر. ينظر :عبدالله بن عبد العزيز البكري الاندلسي، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع ،عالم الكتب، ط٢، (بيروت: ١٤٠٣) ، ١/٣٠٣ .

^(٧٨) ينظر : تاريخ خليفة ، ص ٩٢ - ٩٣ .

عشر الف دينار يبيعون من أبنائهم من أرادوا بيعه^(٨٣) . فالملاحظ على دفع الجزية هنا مقابل المال ، قد عوض عنها بنظام المقايضة فدفعوا ابناءهم مقابل عدم دفع المال المقدر عليهم ، يبدو قلة النقود او حالة الفقر هي التي حملت هؤلاء على بيع اولادهم كي يدفعوا المال المقدر عليهم .

٤ . الفيء :

يعد الفيء جزء من موارد بيت مال المسلمين إذ يؤخذ المال الغير منقول من المشركين من دون قتال^(٨٤) وكذا مع العقارات والأرض التي سيطر عليها المسلمون من دون قتال وليس لهذه الأرض مالك "مال غائب" فعندها تقوم الدولة بتأجير هذه الأرض للمسلمين فالمال المأخوذ منها يرسل الى بيت مال المسلمين^(٨٥) فقال تعالى ﴿ مَا

وأعطاهم الحرية الدينية^(٧٩) لكن كان ذلك ضمن شروط عرفت بالشروط العمرية .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب أرسل ابو موسى الأشعري إلى الأحواز من أجل فتحها ، فقيل أن فتحها تم صلحاً وقيل عنوة ، فقال : ابن الخياط ، أن الخليفة عمر أعاد الجزية إليها ، وذلك لأن الفرس قد دأبوا على التمرد ونقض العهود والمعاهدات^(٨٠) فكان من انجازات الفتح هو النصر والغنائم، فكان قد أصاب المسلمون منها نساءً فجعلوهم ملكاً لهم ، فلما علم الخليفة عمر بذلك كتب إليهم أن أعيدها عليهم نسائهم وخذوا أولادكم^(٨١) .

وفي السنة العشرون ارسل الخليفة عمر بن الخطاب القائد عمرو بن العاص من أجل فتح بلاد أنطابلس وهي جزء من بلاد برقة ، واقعة بين أفريقية وبلاد مصر لكن عمرو بن العاص ، لم يدخل المدينة عنوة بل دخلها صلحاً مقابل دفع الجزية للمسلمين او ان يدفع بابنائهم مقابل الجزية^(٨٢) وكان المبلغ الذي صالح أهلها عليه هو ثلاثة

^(٨٣) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، مكتبة الهلال ، (بيروت

: ١٩٨٨) ، ١ / ٢٢١ .

^(٨٤) الماوردي ، النكت والعيون ، تحقيق : أن عبد المقصود ، دار الكتب

العلمية ، (بيروت : د . ت) ، ٥ / ٥٠٣ .

^(٨٥) محمد ضيف الله بطاينة ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية الحياة

الإقتصادية في صدر الإسلام ، دار القرقان ، (عمان : د . ت) ، ج١

/ ١٤ ، ١٥ .

^(٧٩) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص١٣٤ ، ١٣٥ .

^(٨٠) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص١٣٦ .

^(٨١) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢ / ٩٢ .

^(٨٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص١٤٤ .

د . محمد يونس فلح: المعطيات الاقتصادية في ...

عساكر أهل الذمة والكفار والمشركون ، متمثلة بالأسرى والسلب^(٨٩) والأموال والسبايا وغيرها فقال تعالى ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾^(٩٠) .

ويصف الماوردي الغنائم بأنها أقسامها وأحكامها كثيرة لأنها هي الأساس بل المصدر في التوزيع لاحتوائها على التنوع ومنها يخرج الفبيء وأقسامها عديدة منها الأسرى والسبايا والأموال والعدة والسلب^(٩١) فهذه دلالة على أن هذه الأموال المأخوذة لم تكن سرقة أو اختلاس بل غنائم كسبها المسلمون من آثار الحرب .

أما القرطبي فيعرفها قائلاً " الغنيمة ما حصل عليها الرجل او مجموعة بالقوة فيقال غنم فلان أو غنم القوم أي كسبوا مال من الكفار أي من خلال الظفر بالعدو على وجه الغلبة والقوة والقهر فيعد ذلك كله واصل من مال الكفار ويسمى بمال الغنائم ويتم

^(٨٩) السلب : هو كل ما على الانسان من اللباس فهو سلب . وما يركب عليه المحارب من فرس ونحوه، وما يحمله من سلاح وما يلبسه من درع وثياب وما يتبع ذلك من لجام وسرج وأزرار . ينظر: قلنجي، محمد رواس، وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢، عمان: ١٩٨٨، ص٢٤٨ .

^(٩٠) سورة الأنفال ، الآية : ٤١ .

^(٩١) الأحكام السلطانية ، ١ / ١٤٨ .

أَفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴿٨٦﴾ فالمال الحاصل سواء كان ذهب أو فضة أو دواب او عقار فيقسم إلى خمس أسهم .

فعرف الماوردي الفبيء قائلاً : " هو كل مال من المشركون وصل إلى المسلمين من دون قتال ولا أظهار " ، أي من دون ارسال خيول ولا ركبان، وهو اشبه بمال الجزية والعشار والهدنة ، فهذا المال ينقسم بين الفئات المراد بها القسمة^(٨٧) . فأشار ابن الخياط إلى موضوع الفبيء إشارة واحدة ، وهي أثناء حديثه في واقعة جلولاء التي حدثت سنة (١٧ هـ / ٦٣٨م) ، حيث أرسل سعد بن أبي وقاص ، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على قيادة جيش من المسلمين إلى جلولاء وتمكن من هزيمة جيشها وحصل المسلمون على أموالاً عظيمة تنوعت ما بين عدة ، وبهائم ، وسبايا كثيرة، وقسم ذلك المال " الفبيء " فيها على أثنان وثلاثين ألف مقاتل^(٨٨) .

٥ . الغنائم :

هي المحصلة النهائية من الغزوات والحروب والتي تتمثل بشتى أصناف مغنم الحرب في ما كسبه المسلمون من قتالهم مع

^(٨٦) سورة الحشر ، الآية : (٣) .

^(٨٧) الأحكام السلطانية ، ١ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .

^(٨٨) تاريخ خليفة ، ص١٣٦ ، ١٣٧ .

وفي حادثة تستر سنة (٢٠ هـ / ٦٤١م) والتي تولى فيها أبو موسى الأشعري قيادة الجيش صوب تستر وتمكن من تحقيق انتصارات رائعة عليهم وأصاب منهم غنائم كثيرة وقسمها بين المسلمين فأعطى الفارس سهماً له ولفرسه وللراجل سهماً أيضاً، وكذا للراجل أعطى لهم حصة من الغنائم ، وقبل كل هذا كانت السبايا تحفظ من قبل أشخاص أمناء ثم يتم بعد ذلك تقسيمها إلى المقاتلين^(٩٤) .

وفي سنة (٢١ هـ / ٦٤٢م) حدثت موقعة نهاوند حيث أراد أهل أصفهان والري وهمذان وأذربيجان أن يواجهوا المسلمين فيها ولما وصل الخبر إلى الخليفة عمر بن الخطاب أشار إلى أصحابه في هذا الأمر، وكان الرأي أن يرسل جزء من أهل الكوفة نحوهم فأختار لهم قائداً يسمى النعمان بن مقرن وسار مع ثلثي أهل الكوفة وعين سائب مسؤلاً عن ما أصاب المسلمين من غنائم قائلاً له لا تبعث لي أمراً منكراً أو قضية فيها سوء ولا تغفل عن إعطاء كل ذي حظاً نصيبه من الغنائم^(٩٥) . فيبدو أن سيدنا عمر بن الخطاب كان مهتماً بالنصر وتولي القيادة إلى جانب توزيع الغنائم على المسلمين بشكل متساوي . فالملاحظ أن ابن خياط أثناء

الحصول عليه من خلال خوض غمار الحرب وأظهر سير الخيل والركاب أتجاه العدو^(٩٢) .

أشار ابن خياط إلى نصوص محدودة فيما يتعلق بالغنائم ففي السنة (١٢ هـ / ٦٣٣م) أرسل الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد إلى البصرة لفتحها وبعد الإتياء منها سار إلى ميسان ودخلها ونال منها وأصاب منها غنائم وسبايا من سكانها وكذا في سنة ١٧ هـ / ٦٣٨م) في واقعة جلولاء أنه لما تولى هاشم بن عتبة قيادة الجيش صوب المدينة تمكن منهم وقَاتلهم قتالاً عظيماً ونالوا على أثره غنائم كثيرة تنوعت ما بين الخيل والدواب والسبايا^(٩٣) وهنا في هذا النص لا يشار إلى كيفية توزيع الغنائم بين المسلمين ولم يتم فرزها بالعدد والنوع ، فهذا النص يعد نقداً سلبياً لعدم اكتماله مضمون الية نوع الغنائم وعددها وتوزيعها . او ربما النص نقل من مصادر افتقرت لذكرها بصورة مفصلة او تناقلت عن الرواة بصورة شفوية وينطبق هذا النص على بقية النصوص التي تفتقر الى الايضاح في مسألة الغنائم .

^(٩٢) ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي ، دار الشعب ، (القاهرة : د . د . ت) ، ج ٨ / ١ ، ٣ ، ٥١ ، ٢٣٢ ،

^(٩٣) تاريخ خليفة ، ص ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

^(٩٤) تاريخ خليفة ، ص ١٤٧ ، ١٤٦ .

^(٩٥) تاريخ خليفة ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

د . محمد يونس فلح: المعطيات الاقتصادية في ...

(٩٧) رغم ما ذكره من أن الغنائم بلغت عدد كبير في أنواعها وأصنافها إلا أنه لم يذكر عددها ولا آلية توزيعها والمقاتلين .

المبحث الرابع

سك النقود وتعريفها

المقصود بالسكة كما عرفها ابن منظور هو سكة سكاك وجمعها سكاك ، والسك المراد فيه الدرع الذي يكون ضيق الحلق ، أما السكة ، فهي نوع من المعادن سواء الذهب أو الفضة ويكتب عليها عبارات وتقوش ، فالرسول محمد ﷺ قد نهى عن أفساد وكسر عملة المسلمين الجائزة بينهم سواء كانت الدرهم أم الدينار (٩٨) .

أما ابن خلدون فيعرف السكة ، بأنها العملة المكونة من الذهب او الفضة ، فالمعروف أن الدينار من الذهب والدرهم من الفضة، أما كيفية سكها، فيكون من خلال الختم على العملة المتعامل بها بطابع من حديد وعليه عبارات وتقوش وربما صور فتكون مقلوبة الشكل وتطبع على العملة وتخرج بعده تلك الصور

ذكره لغنائم حادثة معينة لا يفصل في محتوى الغنائم بل يكفي قائلاً أصابوا غنيمة او غنائم في بعض الأحيان .

توجه اهل البصرة سنة (٢٢ هـ / ٣٤٣م) نحو منطقة ماه لغزوها وساندهم فيها أهل الكوفة وكان على رأس هذه الحملة عمار بن ياسر ، ولما انتهت المواجهة وحال الانتصار إلى المسلمين أراد أهل الكوفة أن يشاركوا أهل البصرة في توزيع الغنائم إلا أن أهل البصرة أمتنعوا عن ذلك ورفعوا بذلك كتاباً إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبروه بالأمر وكان جوابه، أن توزيع الغنائم يكون لمن كان مشاركاً في غمار الحرب ، أي شاهدة الواقعة مقاتلاً فيها (٩٦) .

فيتضح من النص اعلاه، أن توزيع وتقسيم الغنائم الحاصلة من الغزوات كان يشوبها نزاعات ومشاكل مما اضطر البعض بأن يرفع شكوى على السلطة الحاكمة من اجل وضع حلول مناسبة لمعالجة الامر ولاسيما والسلطة متمثلة بخليفة عادل فاصدر امر عادلاً يقضي بأن توزيع الغنائم يقع على من شارك في فتح المدينة لا غير .

وفي سنة (٣٠ هـ / ٦٥٠م) توجه عبد الله بن عامر إلى بلاد خراسان وسجستان وفتح بها مدن كثيرة وأصاب منها غنائم جمة

(٩٧) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٥١ ، ١٦٤ .

(٩٨) ينظر : لسان العرب ، ١٠ / ٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٩٦) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٥١ .

أنتني عشرة قيراطاً واخرى عشرة قيراط ، ولما فرض الإسلام الزكاة على المسلمين جمع بين الثلاثة واخذ حل وسطاً لهم فأختير من بين الاوزان الثلاثة ما مقداره اربع عشرة قيراطاً^(١٠٣) .

وقيل: أن الخليفة عثمان بن عفان ضرب الدراهم ونقل عن معاوية أنه سك النقود وكذلك عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب، ولكن التعامل بالدرهم الفارسي والدينار البيزنطي أستمر في المعاملات إلى زمن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٥ هـ / ٦٥٨ - ٧٠٥ م)^(١٠٤) لكن يبدو ان العملة لم تسك الا في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان لان السنوات الاولى من عهد الخلافة لم تسمح بسك العملة لانشغالهم بالفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام .

الدينار : لفظه مشتق من اللفظ اليوناني وهي أسم وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب وقد عرف العرب هذه العملة قبل الإسلام وتعاملوا بها ، وأشار القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾^(١٠٥) .

^(١٠٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ١ / ٤٤٧ .

^(١٠٤) البوزبكي ، دراسات في النظم ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

^(١٠٥) سورة ال عمران، الآية : ٧٥ .

والألفاظ بصورتها الصحيحة ، هذا وأن لكل عملة وزن خاص بها .^(٩٩)

إذن فالنقود هي وسيلة أصطلح الناس على جعلها ثمناً للسلع وأجرًا للجهود والخدمات المقدمة للآخرين سواء كانت معدن أم ورقاً ومن خلاله تقاس جميع أنواع السلع والخدمات^(١٠٠) . فلما ظهر الإسلام لم يكن للعرب نقد أو عملة خاصة بهم بل كانوا يتداولون الدراهم الفضية الساسانية والدنانير الذهبية البيزنطية^(١٠١) .

وقال البلاذري ، أن السكة هي من عمل الأعاجم وهي مختلفة الحجم فيه الكبيرة والصغيرة ووزنها عشرين قيراطاً^(١٠٢) ومنها يوزن

^(٩٩) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر ، (بيروت : ١٩٨٨) ، ١ / ٣٢٢ .

^(١٠٠) النبهاني ، النظام الاقتصادي ، ص ٢٤ .

^(١٠١) توفيق سلطان البيوزبكي ، دراسات في النظم العربية الإسلامية ، المكتبة الوطنية ، ط ٣ ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

^(١٠٢) القيراط : نوع من الوزن معروف وهو نصف داتق وأصله قراط بالتشديد لأن جمعه قراريط وأصل القيراط من قولهم قرط عليه أي اعطاه قليلاً وفي حديث أبي ذر ، ان أرضاً يذكر فيها قيراط فأستوصي بأهلها خيراً فإن لهم ذمة والقيراط هو نصف عشرة في أكثر البلاد وأهل الشام جزء من اربعة وعشرين . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٧ / ٣٧٥ .

د . محمد يونس فلح: المعطيات الاقتصادية في ...

مئقال من الذهب وسهم الراجل بلغ ألف مئقال من الذهب أي ما يعادل ألف دينار^(١٠٨) .

أما الدرهم : وهو وحدة نقدية من وحدات السكة الإسلامية الفضية وقد أشق أسمه من لفظة الدراخمة اليونانية، لذا فقد استعمله العرب واستعاره من الفرس إذ أن الأقاليم الشرقية من العالم العربي الإسلامي تعامل بالدرهم على اعتبار أن الدرهم الفضي هو تقدها الأساسي^(١٠٩) .

فهناك أشارات ونصوص حول استخدام الدرهم على اعتبار أنه يمثل وسيلة تجبى عن طريقه واردات بيت المال ، فيذكر سنة (١٢ هـ / ٦٣٣م) انه أرسل الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد إلى أرض البصرة فصالحه سكان أهل نهر المرأة^(١١٠) على قدر معلوم من المال فكان اثنا عشرة ألف درهم وكذلك تم الصلح

أورد ابن خياط أشارات حول لفظة دينار ، إذ كان يدفع مبلغ من المال بعملة الدينار في مواضع منها في قرى السواد ، إذا تم دخول المدينة عن طريق الصلح فيتم الإنفاق على مبلغ من المال ، كما في الإشارة التي نصت سنة (١٢ هـ / ٦٣٣م) حيث تم الصلح مع اهل قرى السواد على مبلغ قدره ألف ديناراً ، وايضاً صالح خالد بن الوليد في شهر رجب من سنة (١٢ هـ / ٦٣٣م) أهل أليس^(١٠٦) على مبلغ قدره ألف دينار ، وفي سنة (١٥ هـ / ٦٢٧م) ايضاً عندما أرسل ابو عبيدة بن الجرح ، خالد بن الوليد على أرض بعلبك^(١٠٧) فصالحه ووضع عليهم الخراج ، وأتجه جنبها إلى حمص وتم الصلح على مبلغ قدره مائة وسبعون ألف دينار . وكما أرسل عبد الله بن أبي سرح إلى مدينة سبيطلة في أفريقية سنة (٢٧ هـ / ٦٤٧م) وحصل منهم غنائم وسبايا حتى بلغ السهم الفارس الواحد منهم ثلاثة آلاف

^(١٠٨) تاريخ خليفة ، ص ١١٨ ، ص ١٣٠ ، ص ١٥٩ - ١٦٠

^(١٠٩) انيس ابيض ، بحث في تاريخ الحضارة الإسلامية ، (طرابلس : ١٩٩٤) ، ص ١١٨ .

^(١١٠) نهر المرأة : تقع في مدينة البصرة حفرة أردشير الأصغر، صالح خالد بن الوليد عند نزوله البصرة اهل نهر المرأة . ينظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان، ٣٢٣/٥ .

^(١٠٦) أليس : وهي البلدة التي كانت فيه المعركة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من جهة البادية، وهي قرية من قرى الأنبار . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٤٨/١ .

^(١٠٧) بعلبك : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور وبنيان على أساطين الرخام لا مثيل لها في الدنيا، واسافة بينها وبين مدينة دمشق ثلاثة أيام اي اثنا عشر فرسخا . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ٤٥٣/١ .

والمواد الأخرى ، وفيه أيضاً أصحاب الحرف والمهن ومن يتعاملون بالآلات والأدوات ، فهم معرضون إلى الربح والخسارة فإذا ما تعرض احدا منهم إلى الخسارة بفقدان أموالهم فليس لهم إلا القعود أما ما يحققه التجار من أرباح في الأسواق فإنها تعمر في الآفاق لشراء وبيع السلع في الأسواق ، فمن دون ذلك تبطل الحياة ويبطل البيع والشراء وتقل الجباية في بيت المال ، (١١٤) ومما اورده ابن خياط عن الاسوق ، أن النبي محمد ﷺ لما وزع وعين بعض عماله على بعض المدن أختار لكل شخص مهمة يقوم بها ، ومنها أنه عين الحكيم بن سعيد بن العاص على السوق ، وأستعمل على اليمن أي صنعاء خالد بن سعيد وهكذا تم التوزيع الوظائف عليهم .

من هذا النص يتبين أن الرسول محمد ﷺ كان يعين اشخاص على إدارة المدن ومراقبة الأسواق وهو بمثابة المحتسب ، وكذا عندما وجّه الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه حملة بقيادة المثني بن حارث الشيباني إلى سوق بغداد (مدينة بغداد) من أجل السيطرة عليه (١١٥) .

مه أهل نهر تيرى (١١١) ، ودست ميسان ، بالعراق على مبلغ قدره مائة الف درهم (١١٢) .

المبحث الخامس

الأسواق

تمثل المدن في الدولة العربية الإسلامية مركزاً رئيسياً للبلاد حيث تزدهر فيها الحضارة وتتقدم فيها النظم الإدارية ومؤسساتها ، فقد نمت الحركة الفكرية وازدهرت فيها الحياة الاقتصادية .

لذا فإن الأسواق تمثل من الناحية الاقتصادية جزءاً حيوياً وهاماً في المدن لأنها مركز النشاط التجاري (١١٣) وكما ذكر ابن خلدون اثناء حديثه عن تخطيط الأسواق معبراً عنها يتمثل السوق بمحتواه على أصحاب الدكاكين الذين يبيعون الفواكه والأطعمة

(١١١) نهر تيرى : يقع في مدن الأهواز وهو نهر حفره أردشير الأصغر بن بابك ، وأن أردشير بهمن بن اسفنديار ، حفر نهر المسرقان بالأهواز ودجيل الأهواز وأنهار الكور السبع: سرق ورامهرمز وسوس وجنديسابور ومناذر ونهر تيرى فوهبه لتيرى من ولد جودرز الوزير فسمي به . ينظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان، ٣١٩/٥ .

(١١٢) تاريخ خليفة ، ص١٢٨ ، ١٣١ ؛ للمزيد على استخدام الدرهم . ينظر : ص١٣٤ ، ١٥٠ ، ١٦٥ .

(١١٣) راشد الحرابوي ، الحرية في الاقتصاد الإسلامي ، دار الحرية ، ط١ ، (القاهرة : ١٩٨٦) ، ص٦٤ .

(١١٤) ينظر : ابن خلدون ، ديوان المبتدأ ، ص٢٠٩ .

(١١٥) ينظر : تاريخ خليفة ، ص٩٧ ، ١١٨ .

د . محمد يونس فلح: المعطيات الاقتصادية في ...

٣ . المعطيات الاقتصادية في هذا البحث تكاد تكون قليلة في هذه الفترة فقد اقتصر على نصوص من موضوع الخراج والجزية والفيء والغنائم والاسواق ...

٤ . المؤلف ابن خياط رغم عدم ارتحاله الى اي بلدة الا انه دون الاحداث في كتابه بالاعتماد على ابن الكلبي في روايات قليلة السند هذا ما تبين من خلال عدم التفصيل في بعض الحوادث المتعلقة بالنظم واكتف بالإيجاز حين اخر .

٥ . قدم ابن الخياط معلومات قيمة عن بعض الحوادث التي على اثرها تم فرز الجوانب الاقتصادية . ولاسيما في الحالات التي يتم فيها خوض غمار الحرب او التي يكون فيها الفتح من خلال الصلح .

٦ . اثبت لنا ان الفتوحات الاسلامية التي اشغلت المسلمين ، في هذه الفترة لم تؤثر على الحياة الاقتصادية ، رغم ما فيها منى جهود تحتاج الى تمصير وادارة للاقاليم وتنصيب عمال على وظائف النظم المالية والاقتصادية .

فمن خلال هذه الإشارات التي تمثلت بالدينار والدرهم والأسواق يتبين أنّ الحياة والنظم الاقتصادية لا تقوم لها قائمة مالم تتكامل فيها كل مقومات الحياة الاقتصادية والمتمثلة بالدرهم والدينار والسلع والمواد الاولية الاخرى، على اعتبار أنهما وسيلة للتعامل في البيع والشراء . فأبن الخياط ذكر هذه الوسائل في البيع والشراء وفي الصلح معتبراً إنها أحدى وسائل الحياة العامة .

الخاتمة

١ . الملاحظ ان ابن الخياط ركز في كتابه على الجانب

السياسي وذلك على اعتبار ان كتابه في التاريخ فقد وضع كل اهتمامه بالاحداث السياسية والعسكرية . وهذا لا يمنع الباحث عن التقصي، وجمع النصوص المتعلقة بالجوانب الاخرى . وذلك لتبيان اهمية الكتاب وما يحتويه من اشارات علمية قيمة في ثنايا النصوص .

٢ . الفترة التي تم اختيارها هي فترة فتوحات عسكرية ، منذ بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين هي فترة اقرب الى الجانب العسكري والسياسي من النظم الاقتصادية فهذا يتمثل من خلال عدم افراد عنوانات لها .